النحو العربي
محاولات تيسيره وطرائق تدريسه

د. محمود حبيب شلال المشهداني

جامعة بغداد/ كلية الآداب

١٤٣٢هـ ٢٠١١م

Arabic Grammar: Trying to Simplify It
and Its Methods of Teaching

Abstract

This research deals with the importance of grammar among other disciplines of Arabic, the necessity of learning it to let native and nonnative speakers pronounce it correctly, and correct their speech and writing. In addition, it covers the reasons that make it difficult in teaching it, some of which are:

1. Misunderstanding the function of grammar and the ambiguity of the goals of teaching it.
2. Shortage of suitable grammatical texts, prepared especially for its learners.
3. Weakness in qualification of teachers and sterility of teaching methods.

The research concludes that the most serious cause of the difficulty of grammar and the failure of its facilitation through the ages is that rules of grammar do not apply to people's colloquial speech. This means the disappearance of the function of grammar, also, an indiscrimination of two levels in teaching grammar: theory of grammar (concept) and instructional grammar (practice).

The research covers the study and analysis of the most serious efforts of simplification by ancients and moderns, beginning with the experiment of Ibn Mudha'a al-Qurtubi and ending with Al-Jewary's. Also covered are the most important phases of simplification and its forms,

stating my own point of view on its simplification and facilitating its methods of teaching.

I tried my best to cover the most widely used and spread methods of teaching it, which are: 1. Comparative method, 2.Inferential method, 3. Solution of problems method, 4. The 'what' method, 5.Modulated method (Integrational texts method) which is a form of integration in teaching Arabic.

It is indispensable to refer to significant modern trends in teaching grammar, focusing on Ibn Khaldoon's concept of forming fluency by studying *beautiful* texts analytically and the adoption of US and European designed programmes for teaching language, for these programmes influenced most of the international trends in teaching grammar.

المقدمة:

تأتي قواعد اللغة العربية في المرتبة الاولى بين فروع اللغة ، لما لها من اهمية في صون ألسنة الناطقين بها ، والناطقين بغيرها على حد سواء ، فهي تعمل على تصحيح نطقهم وكتابتهم ، وتعودهم الدقة في الاستعمال الصحيح لاساليب اللغة ، وتجنبهم الخطأ في الاستعمال اليومي لها ، والابتعاد عن غير المألوف منها ، وبالتالي تنمي ثروتهم اللغوية ، وتصقل اذواقهم الادبية ، من خلال وقوفهم على دراسة الامثلة الوظيفية ، والشواهد القرآنية الكريمة ، والاحاديث النبوية الشريفة ، والشعرية الواضحة ، والتراكيب اللغوية الصحيحة.

إلا أن تعلمها أصبح اليوم مشكلة ماثلة أمام المعلمين والمتعلمين على حد سواء. ذلك لان النحويين القدماء حين قعدوا قواعدهم اقحموا اللهجات العربية على اختلافها ، وتباين خصائصها ، وبالغوا في نظرية العامل ، وافرطوا في التأويل والتقدير ، وغالوا في استخدام العلل الثواني والثوالث في النحو ، كما استخدموا انواعا من الاقيسة النظرية التي لا تعتمد على شاهد من كلام العرب ، حتى اصبح النحو يدرس في قوالب وأنماط تبعد به عن واقع المتعلم وحاضره ، بسبب كون النحو كما فهمه الاقدمون قواعد تعرف بها أواخر الكلمات إعرابا وبناء ، وقصر فهمه على هذا المعنى.

وإذا كان المقصود من درس القواعد هو جعله سبيلا إلى تصحيح الكلام وضبطه فينبغي لنا أن نكتفي منه بالقدر الذي يعيننا على تحقيق هذه الغاية. أي ينبغي أن يكون النحو الوظيفي هو أساس بناء المنهج. ويقصد بذلك أن يتخير من النحو ماله صلة وثيقة بالأساليب ودلالتها على المعاني ، وما كان سهل الفهم

والإدراك ، مع مراعاة ربط دراسة القواعد بواقع حياة المتعلم ، وفي إطار من قراءاته التي تخدم تلك الغاية. (٦ : ص ٦٤).

وهذا ما دفع الحريصين على اللغة العربية إلى دراسة أسباب هذه الصعوبة وهذا الصدود عن تعلم اللغة العربية ، فتسابقوا إلى تيسيره وتذليل وعورته ولاسيما المخلصون منهم المحبون لكتاب الله تعالى ولغته العظيمة ، الذين عز عليهم أن يكون نحو العربية شاقا عسيرا لا يستطيع القبض على ناصيته إلا نفر ضئيل ، فذهب يتلمس أسباب الصعوبة ويستقصي عوامل الجفاف ليزيلها ، ويعيد إلى هذا الدرس حيويته ونضارته ويجعله في متناول أبناء اللغة ، فلا يصدون عنه ولا يجدون عنتا في تحصيله. (٢٨ : ص ١٠١).

لهذا جرت محاولات عدة لتيسير دراسة النحو قام بها الاقدمون ، منها محاولة خلف الأحمر (ت ١٨٠ه) في كتابه مقدمة في النحو. والتفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ ه). وألفية ابن مالك التي توالت عليها الشروح. وكتب ابن هشام المؤلفة بحسب المراحل التعليمية وغيرها ، إلا أن أهم هذه المحاولات هي محاولة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ ه) في كتابه (الرد على النحاة).

وفي العصر الحديث ظهرت محاولات عدة لتيسير النحو كان في طليعتها محاولة إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)، وشوقي ضيف في كتابه (تجديد النحو)، و أمين الخولي بمؤلفه (مناهج تجديد النحو) و أنيس فريحه قي مؤلفه (تبسيط قواعد اللغة على أسس جديدة) و تمام حسان في عدد من مؤلفاته ، والسيد الجنيدي خليفة في كتابه (نحو عربية أفضل) و عبد العال الصعيدي في مؤلفه (النحو الجديد) وغيرهم كثير.

أما محاولات التيسير في العراق التي بدأت قبل بداية النصف الثاني من القرن الماضي فكان من أهمها محاولة شاكر الجودي في كتابه (تشذيب منهج النحو) و مصطفى جواد ، و احمد عبد الستار الجواري ، و إبراهيم السامرائي ، و فاضل السامرائي ، و مهدي المخزومي ، و نعمه رحيم العزاوي ، في عدد من مؤلفاتهم. كما قام محمود المشهداني (❖) ، وسالم الطائي (❖❖) بجهد متواضع في تيسير تدريس شرح ابن عقيل بجزأيه الاول والثاني ، وذلك في اطروحتيهما للدكتوراه ، تحت عنوان " بناء دليل لتيسير تدريس شرح ابن عقيل " تناولا فيه اسلوبا جديدا في التيسير ، وذلك بوضع منهج جديد يساعد على تيسيرفهم شرح ابن عقيل ، فهو ليس بديلا عنه ، وانما هو منهجا مساعدا له. وقد تضمن هذا المنهج تطبيقات وتدريبات متنوعة — شواهد قرآنية كريمة ، وشعرية واضحة ، وامثلة من واقع حياتنا اليومية - تساعد على تثبيت القاعدة النحوية في اذهان الطلبة. وقد نال هذا العمل استحسان من اطلع عليه من المتخصصين في تدريس النحو العربي. وسأتناول في هذه الدراسة أهم هذه المحاولات عند القدامى والمحدثين ، باختصار غير مخل ان شاء الله. كما سأستعرض أهم طرائق تدريس النحو ، والاتجاهات الحديثة في تدريسه. وبالله التوفيق...

(❖) تدريسي في جامعة بغداد

(❖❖) تدريسي في الجامعة المستنصرية

النحو العربي

تعريفه :

قال ابن جني في كتابه الخصائص : النحو : هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره : كالتثنية ، والجمع ، والتحقير والتكسير والاضافة والنسب ، والتركيب ، وغير ذلك ، ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وان لم يكن منهم ، وان شذ بعضهم عنها رد اليها. وهو في الاصل مصدر شائع ، أي نحوت نحوا ، كقولك قصدت قصدا ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم " (٢ : ص ٣٤)

وهذا التعريف يتفق والنظرة الجديدة للنحو التي تدعو الى توسيع مفهومه ليشمل جوانب اللغة كلها ، بما فيها الصوت والصيغة والتركيب والدلالة ، ولا ينظر الى جانب منها على انه الغاية والهدف ، من غير ان ينظر الى الجوانب الاخرى. ولا يتفق والمفهوم القاصر للنحو الذي يبحث فيه عن احوال أواخر الكلم اعرابا وبناء. لان هذا المفهوم القاصر " يدور حول الاعراب ، اي ضبط أواخر الكلمات ، بعد معرفة مواقعها من الجملة. والنحو ليس مقصورا على الاهتمام بالاعراب والبناء في الكلام ، ولا مجرد ضبط اواخر الكلمات فيه. فهو فضلا عن ذلك يتسع ليشمل الاهتمام بالمعاني ، ووظيفة الكلمات في اطار الجملة ، والجمل في اطار العبارة " (٢٣ : ص ٢٨١)

ومن تعريف ابن جني نخلص ايضا الى ان الغاية في اصل نشأة النحو العربي كانت تعليمية ، فهو يقرر ان النحو اساس لتعليم العربي الناطق بالعربية ، والاجنبي الناطق بغيرها على حد سواء.

صعوبة النحو العربي:

لم يتعرض اي فرع من فروع اللغة العربية للنقد، والاتهام بالصعوبة والجفاف، كما تعرض النحو العربي، فقد سفهت قواعده، ووصفت كتبه بأصعب العبارات... وقد عزا شوقي ضيف عجز العربي وقصوره في لغته الى النحو الذي يقدم للناشئة، والذي يرهقها بكثرة ابوابه وتفريعاته.

ومنذ بداية القرن الماضي وشكوى الدارسين من صعوبة النحو العربي تزداد يوما بعد يوم وراحوا يصفونه بالجاف والجمود والتناقض وكثرة التفريعات والتأويل والتقدير والإفراط في القياس.

ومرد ذلك ان النحاة تأثروا بالفلسفة والمنطق وغالوا في القياس وأكثروا من التعليلات، وكل هذا يتمثل في كتب النحو على اختلاف مناهج مؤلفيها وتباين مذاهبهم ومدارسهم واتجاهاتهم، وقد أدى هذا إلى الاضطراب أو التناقض في القواعد النحوية أنفسها، وتسبب في إحداث خلافات حادة بين النحاة حول المسائل النحوية المعقدة وفي هذا المعنى يقول عبد الله درويش: إن المتتبع للمؤلفات النحوية منذ سيبويه حتى الآن يرى أن مطولاتها معقدة الأسلوب مملؤة بالجدل والخلاف لأنها الفت للعلماء كما إنها تناسب التأليف العلمي العام في وقتها. (١٣ : م)

اذن فأزمة العربية ونحوها أمر لا يمكن انكاره أو التهوين من خطره، وهناك اجماع بين المشتغلين بالدرس النحوي والقائمين على شؤون التربية والتعليم على ان في النحو العربي صعوبة وجفافا يحولان دون تعلمه، على الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذل من اجل تيسيره وتيسير تدريسه.

ومما لا شك فيه ان اسبابا عدة ساهمت – بنسب متفاوتة – في خلق ازمة النحو في المجال التربوي التعليمي اهمها : (١٧)

١- القصور في فهم وظيفة القواعد ، وعدم وضوح الاهداف من تدريسها ، وقد ادى هذا الى سوء استغلالها من قبل المربين والمعلمين ، والى فهم قاصر محدود لطبيعتها ، والهدف من تدريسها ، فكثيرا ما يتم تدريسها بعيدا عن الغاية المقصودة.

٢- الافتقار الى مادة نحوية تعليمية مناسبة يتم اعدادها للمتعلمين ، وعرضها عليهم في ضوء مجموعة من المقاييس العلمية والتربوية والنفسية ، منها ما يخص طبيعة المعرفة التي تعد لها هذه المادة ، ومنها ما يخص الدارسين الذين يستخدمونها.

٣- سوء اعداد معلم اللغة العربية ، وعقم طرائق التدريس المتبعة ، مقارنة بما يجري في تعليم اللغات عند الغربيين.

- وارى ان من أهم اسباب صعوبة النحو ، وفشل محاولات تيسيره على مر العصور ، هو ان قواعد النحو شيء ولغة الناس العامية شيء آخر ، اي انعدام وظيفة النحو. وكذلك قصور واضعي المناهج الدراسية ومعظم المعلمين في استعمالهم الشواهد النحوية السليمة غير المبتورة والمجتزئة ، وبخاصة اذا كانت من القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية الشريفة ، واشعار العرب. وخلو المناهج الدراسية من التطبيقات النحوية واللغوية. وايضا جهل معظم المعلمين بطرائق التدريس الحديثة ، وعدم قدرتهم على تطوير أنفسهم. وكذلك عدم جدية وزارات التربية ، والتعليم العالي ، والمجامع العلمية ، والمعنيين بالعملية التعليمية في البلاد العربية ، بتيسير النحو وتيسير تدريسه. وما المؤتمرات التي تعقد ، والندوات التي تدار ، بين الحين والحين ،

الا محاولات بسيطة ومتواضعة ، واحيانا غير جادة ، ولا تتناسب وحجم المشكلة التي تزداد تعقيدا وتعسيرا يوما بعد يوم. في الوقت الذي تشهد فيه اللغات الاجنبية الاخرى في بلادنا العربية انتشارا واسعا وكبيرا على حساب لغتنا القومية ، التي بدأ استعمالها ينحسر شيئا فشيئا ، ليس في الاستعمال اليومي فقط ، وانما في معظم المؤتمرات والندوات التي تعقد على المستويين الرسمي والشعبي ، فضلا عن المخاطبات الرسمية في العديد من بلداننا العربية.

والى جانب ما ذكر من صعوبات ، فهناك طبيعة المادة النحوية المدروسة في حد ذاتها فهي – في الكتب والمقررات التعليمية – نوع من التحليل الفلسفي ، فيها الكثير من المصطلحات والحدود والتفريعات ، التي يعجز عن فهمها المعلمون فضلا عن المتعلمين (١٧) كذلك عدم التميز منهجيا بين مستويين في تعليم النحو : النحو العلمي (النظري) ، والنحو التعليمي (التربوي).

فالنحو العلمي ، نحو تخصصي ينبغي ان يكون عميقا مجردا ، يدرس لذاته ، وتلك طبيعته ، فهو يقوم على نظرية لغوية تنشد الدقة في الوصف والتفسير ، وتتخذ لتحقيق هذا الهدف ادق المناهج. وهو بهذا يكون هو الاساس والمنطلق في وضع نحو تعليمي ، تراعى فيه قوانين علم النفس.

اما النحو التربوي التعليمي فيمثل المستوى الوظيفي النافع لتقويم اللسان ، وسلامة الخطاب ، واداء الغرض ، وترجمة الحاجة ، فهو يركز على ما يحتاجه المتعلم ، يختار المادة المناسبة من مجموع ما يقدمه النحو العلمي ، مع تكييفها تكييفا محكما طبقا لاهداف التعليم ، وظروف العملية التعليمية. (٢٤ : ص ٢٠٣) فالنحو التربوي يقوم على اسس لغوية ونفسية وتربوية ،

وليس مجرد تلخيص للنحو العلمي. فعلى هذا المستوى ينبغي ان تنصب جهود التيسير والتبسيط.

اذن فالنحو العلمي شيء، والنحو التعليمي شيء آخر، ونمط خاص، يتكون من مادة تربوية مختارة، على غرار اسس ومعايير موضوعية، تراعي اهداف التعليم، وحاجات المتعلمين، وظروف العملية التعليمية. وعليه فقد " أخطأ كثير من المعلمين حين غالوا بالقواعد، واهتموا بجميع شواردها، والالمام بتفاصيلها، والاثقال بهذا كله على كاهل التلاميذ ظنا منهم ان في ذلك تمكينا لهم من لغتهم، واقدارا لهم على اجادة التعبير والبيان " (٢٥ : ص و)

محاولات تيسير النحو :

سأتناول هنا أهم محاولات التيسير عند القدامى والمحدثين... وكذلك مراحل التيسير، واشكاله.

منذ زمن مبكر ظهرت محاولات التيسير إلا أنها كانت متفاوتة في تناولها لموضوعات النحو، فمنها المختصرات ومنها الشروح، ومنها الشعر التعليمي. ويعني هذا ان صعوبات النحو لم تغب عن اذهان القدامى أنفسهم، فراحوا يعملون على تيسيره – على المستويين النظري والتطبيقي – فكانوا يؤلفون المؤلفات الضخمة للمتخصصين، ويؤلفون للناشئة متونا ومختصرات مهذبة.

فقديما ارتفع صوت خلف الاحمر اذ يقول في بداية كتابه (مقدمة في النحو): لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل، واكثروا العلل، واغفلوا ما يحتاج اليه المتعلم، أمعنت النظر والفكر في كتاب

أؤلفه واجمع فيه الاصول والادوات والعوامل على اصول المبتدئين ، ليستغني به المبتدئ عن التطويل.(٥ : ص ٣٤)

وأكد الجاحظ أن الاكثار من النحو وتعليمه لذاته ، انما هو مضيعة لوقت الصبي عما هو أولى به.

كما أكد ابن خلدون أن تربية الملكة اللغوية تغنينا عن تعلم القواعد. فيقول : " وكذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صياغة اللغة العربية المحيطين علما بتلك القوانين ، اذا سئل في كتابة سطرين الى أخيه ، او دوى مودته ، او شكوى ظلامة ، او قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب واكثر من اللحن... وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ، ولا المفعول من المجرور ، ولا شيئا من قوانين اللغة العربية. فمن هذا نعلم ان تلك الملكة هي غير صناعة اللغة العربية ، وانها مستعينة عنها بالجملة " (٤ : ص ٥٥٦)

وتطالعنا في كتب التراجم والفهارس عناوين كثيرة ، تدل على ان القدماء كانوا يدركون بعض مصادر الصعوبة في تعلم النحو ، وان تيسير النحو للناشئة أمر لا مناص منه ، ولذلك بادروا بالتأليف النحوي المختصر التي يظهر من عناوين تلك المؤلفات رغبة مؤلفيها في التيسير والايضاح والارشاد ، كما يطغى عليها الجانب التعليمي. (١٢ : ص ٥٤)

وفي هذا يقول احمد مطلوب (٣٧ : ص ٢٢) إن حركة التيسير عند العرب ليست وليدة العصر الحديث ، ولاهي ثمرة أذهان المحدثين ، وإنما هي قديمة قدم النحو نفسه ، وقد كان القدماء أنفسهم يحسون بصعوبة النحو ، واضطراب منهجه ، وبعثرة فصوله ومادته ، حتى أنهم كانوا يقولون لمن يريد أن يقرأ كتابا ككتاب سيبويه في النحو (هل ركبت البحر ؟) استصعابا لما فيه وتعظيما له.

ولقد اثرت المحاولات القديمة في التجديد والتيسير والاصلاح في توجيه محاولات التيسير والتجديد والاصلاح في مطلع العصر الحديث تأثيرا كبيرا في توجيه الدرس النحوي ، حيث بدأت هذه المحاولات في التأليف النحوي دون المساس بالاصول النظرية والمنهجية ، وكانت دروس النحو قد استقرت في الازهر الشريف محصورة في اطار الشروح والمتون. لكن حركة الاصلاح لم تقف عند هذا الحد ، بل تعدت الى اعادة النظر في اصوله ومبادئه. وكانت اولى هذه المحاولات الاحيائية محاولة ابراهيم مصطفى في كتابه " احياء النحو " سنة ١٩٣٧ فكان رائد هذه الحركة ، ثم توالت بعده المحاولات على اختلاف مناهجها واساليبها.

مراحل التيسير:

مر تيسيرالنحو وتسهيله بمراحل متعددة ومتوالية ، تتناسب والفترات الزمنية المتعاقبة ، وبحسب حاجة تلك الفترة الى التيسير الذي يناسبها في تعليم النحو لأبنائها ، ويمكن تلخيصها بالآتي :

١- المرحلة الاولى : مرحلة التأليف النحوي التعليمي المختصر للناشئين ، القائم على استخدام لغة سهلة بسيطة ميسرة ، باسلوب حواري ، واعراب بعض الامثلة الحياتية البسيطة ، والاختصار في عرض المسائل النحوية ، والابتعاد عن مسائل الخلاف بين النحاة.

٢- المرحلة الثانية : مرحلة شرح الكتب النحوية المؤلفة ، التي صعب على الدارسين فهمها ، وفك رموزها ، وبخاصة كتاب سيبويه ، والفية ابن مالك ، اللذان

توالت عليهما الشروح حتى يومنا هذا، وغيرهما كثير، فراحوا يزيلون غموضها ويوضحوا مبهمها، لتناسب تلك الفترة في التأليف والتعليم.

٣- المرحلة الثالثة: المتمثلة برفض العلل النحوية، التواني منها والثوالث، ورفض نظرية العامل، وبخاصة عند ابن مضاء، ومن سار على نهجه من بعده، وما يترتب عليها من خلاف عقيم بشأنها، وزادت النحو تعقيدا وتعسيرا، حتى صعب على المتعلم تعلم النحو بطريقة سهلة ميسرة، فاضطر الى استظهار القواعد النحوية، واستظهار امثلة مجتزئة مبتورة عليها، يرددها ترديدا آليا دون فهم معناها ومغزاها، وانما هي كما جاءت في كتب الاقدمين.

٤- المرحلة الرابعة: مرحلة نظم قواعد النحو العربي شعرا او نثرا، وهو ما عرف بالشعر التعليمي النحوي، مثل ألفية ابن مالك، والفية ابن معط، ومتن الاجرومية، وغيرها كثير حتى يومنا هذا، وقد اسهمت هذه المنظومات وشروحها في تسهيل النحو وتيسيره على الطلبة والدارسين.

يقول ابو المكارم: " كشفت لنا عملية الاحصاء وجود اكثر من اربعين متنا بعنوان مختصر في النحو، واكثر من عشرة كتب بعنوان الموجز او الوجيز في النحو، واكثر من عشرين رسالة بعنوان مقدمة في النحو او في علم النحو، واكثر من خمسة مصنفات بعنوان المدخل الى النحو " (١) وهذا كله حتى منتصف القرن التاسع الهجري. وعليك ان تتصور وتتعرف على ما حصل بعده من محاولات جادة وحريصة في التجديد والتيسير والتسهيل والاصلاح في بلادنا العربية، سواء ما كان منها على مستوى الدراسات العليا، اوعلى مستوى المتخصصين والمهتمين في مجال اللغة والنحو من الغيارى والمخلصين من ابناء هذه الامة، المحبين للغتهم، لغة القرآن الكريم، وهم كثر بحمد الله وتوفيقه.

اشكال التيسير:

من المعروف ان سيبويه قد أكمل النحو العربي من ألفه الى يائه ، وذلك في (الكتاب) الذي يعد أقدم كتاب في النحو والصرف بين أيدينا حتى الآن ، فكان سجلا لآراء الخليل بن احمد الفراهيدي استاذ سيبويه. (٢٢ : ص)

والتغير الذي طرأ على النحو العربي كما قدمه سيبويه ليس تغيرا في الجوهر ، فمن جاء بعد سيبويه شرع في شرح كتابه وتوضيح مشكله ، حتى ان بعضهم زاد في تعقيد النحو العربي ، فاصبح علم النحو صعبا على المتعلمين والدارسين ، وعلى المعلمين ايضا ، لذلك كان لا بد من التيسير والتبسيط والتسهيل ليكون سهل المنال ، وقريبا من اذهانهم ، وقد اتخذ هذا التيسير عدة اشكال منها :

١- تخليص النحو العربي مما علق به من شوائب ، ومن تعليلات فلسفية مصطنعة ، ومما أقحمه بعض العلماء عليه مما ليس منه ، حتى بدا هذا العلم غريبا على اصحابه الحقيقين ، فالنحاة يتكلمون اللغة ولكنهم يقحمون عليها ما ليس منها. حتى اصبحت مؤلفاتهم النحوية تتمايز فيما بينها في قدرتها على الاحاطة بكل تفاصيل الخلاف بين النحويين.

٢- تنظيم الابواب النحوية وترتيبها. فقد كانت تعاني بعض مصادر النحو ومصنفاته من الاضطراب في تتالي الابواب ، وفي توزيع جزئيات الباب الواحد ، فضلا عن الغموض في العناوين ، مع غياب الدقة في المصطلحات ، وصعوبة الاهتداء الى مسائل النحو ، وعدم التطابق بين العنوان وما تحته. ويمثل كتاب سيبويه خير نموذج لهذه الاحكام ، مع انه يمثل أكمل محاولة في التأليف النحوي وانضجها قديما وحديثا. (٣٠ : ص ٢٣)

٣- الاختصار والايجاز غير المخل، لان معظم كتب النحو كانت تعاني من الطول المفرط الناشئ عن التكرار والاستطراد والحشو، ومعالجة المسائل الاجنبية التي لا صلة لها بالنحو، فضلا عن الشغف بالمناقشات والجدل والاغراق في تتبع العلل، والاكثار من التقسيمات والتفريعات. (٣٠ : ص ٢٧)

٤- شرح المؤلفات النحوية، ذلك ان هذه المؤلفات كتبت بلغة جافة يصعب فهمها وفهم شواهدها، او الوقوف على مراميها وقواعدها بسهولة ويسر، لذلك كان لا بد من شرح لهذه اللغة التي صيغت بها تلك المؤلفات. ليسهل على المتعلمين والدارسين فهمها وتعلمها.

محاولة ابن مضاء القرطبي :

إن أول محاولة وصلت إلينا في تيسير النحو هي محاولة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ ه) في كتابه (الرد على النحاة) الذي وفره للرد على النحاة في مسائل لايقرها ويراها غير مجدية في تعليم هذا العلم وهي أربعة أمور :

١ – إلغاء نظرية العامل.

٢ – إلغاء العلل الثواني والثوالث.

٣ – إلغاء القياس.

٤ – إلغاء التمرينات غير العملية.

ويعني هذا ان ابن مضاء تجاوز العلة النحوية ليدعو الى ترك العوامل، والغاء القياس والتقدير والتأويل في مجال دراسة النحو، وهذا ما دعى اليه الفقيه ابن حزم في مجال الفقه والافتاء من قبل. وقد كان لعلم النحو عند ابن حزم

مكانة مميزة ، فهو يدعو العلماء والفقهاء في عصره الى تعلم النحو ، ويرى انه لو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن ، وفهم حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ولو سقط لسقط الاسلام ، ويعد ابن حزم تعلم النحو واجبا على كل من يريد ان يجلس ويفتي الناس. (٣ : ص ٦٦)

وهذه المحاولة كانت مستندا لكثير من دعوات التيسير في العصر الحديث الذي تعالت فيه الصيحات لتيسير النحو. (١٤)

ولأهمية هذه المحاولة سميت (بثورة ابن مضاء) لأنها اخطر محاولة إصلاحية في تاريخ النحو العربي. ولقد ضمن ابن مضاء كتابه المشهور (الرد على النحاة) نظريته الإصلاحية والتيسيرية (٢٧ : ص ٣٦). فهو يقول في مقدمة كتابه : وقصدي من هذا الكتاب ان أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه ، وانبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه. فقد حاول ابن مضاء وضع نموذج جديد لوصف اللغة العربية والتقعيد لها على وفق اصول ومبادئ فكرية وفلسفية تختلف اختلافا جذريا عن تلك التي وضعها النحاة.

ويرى مهدي المخزومي في محاولة ابن مضاء دعوة جريئة في تخليص النحو من عناصر الفساد التي لحقته. (٣٣ : ص ٣٩٦).

و لخديجة الحديثي رأي في دعوة ابن مضاء فهي تقول : " وأي شيء أعظم من هذه الدعوة التي أرادت أن تحرر النحو العربي من النزعة المشرقية المؤمنة بالقياس والتعليل ، المغرقة في التأويل ، وترى أن عمل ابن مضاء يعد خطوة كبيرة في تطور النحو ، وقد كان لهذا العمل أن ينتشر ويسيطر على مناهج الدرس النحوي لولا أن البلاد الأندلسية ابتليت بالنزاع والصراع وفوجئت بمداهمة الأعداء لها من كل جهة " (١١ : ص ٣٢٠).

وأما العزاوي فيقول: (٢٧ : ص ٤٠) لقد خلصت نظرية ابن مضاء النحو العربي من كثير مما علق به من شوائب التأويل والتقدير والتعليل.

وبذلك مهد ابن مضاء لتخليص النحو من صعابه وتعقيداته غير أن خالفيه من النحاة في زمنه وبعد زمنه صموا آذانهم عن دعوته، وظلوا يؤلفون مطولاتهم الضخمة حاملة مالا يحصى من مسائله العويصة وعقده العسرة (٢٠ : ص ٢٥).

- وأرى إن دعوة ابن مضاء لو لقيت آذانا صاغية، وتبعتها دعوات مخلصة مماثلة لخلص النحو من مسائل وتعقيدات وخلافات كثيرة لاطائل تحتها.ولأصبح الدرس النحوي على غير حاله اليوم، ولما استمر النحاة إلى يومنا هذا في شرح مطولاتهم وإظهار خلافاتهم وتعدد آرائهم بتعدد مدارسهم ومذاهبهم ومناهجهم. وكلما ظهر مؤلف جديد زاد النحو تعقيدا وتعسيرا.

محاولة إبراهيم مصطفى:

شهد القرن الماضي عددا من محاولات التيسير وكل تلك المحاولات أو جلها تبتغي تقريب مادة النحو إلى أبناء العربية ومتعلميها وتيسيرها عليهم، يقول فاضل السامرائي: وابرز محاولة في هذا الصدد هي محاولة إبراهيم مصطفى — التي تعد المحاولة المصرية الاولى في تيسير النحو العربي - التي ضمنها كتابه (إحياء النحو) والمؤلف اعتمد في تيسيره على أصلين رئيسيين:

الاول: مطالبته ان يتسع الدرس النحوي، فيشمل دراسة أحكام نظم الكلام، واسرار تأليف العبارة. (٣٦: ص ١)

الثاني : مطالبته بالغاء نظرية العامل ، واستئصال جذورها ، وما تستلزم من تقديرات وتأويلات تذهب بروح اللغة وجمال العبارة. (٣٦ : ص ١٩٤)

وابرز نقاط محاولته التيسيرية ما يأتي : (١٤)

١ – إلغاء نظرية العامل.

٢ – ربط الإعراب بالمعنى.

٣ – تفسير حالات الإعراب في الأسماء على النحو الآتي :

الضمة على الإسناد ، والجر على الإضافة ، وأما الفتحة فليست علامة على معنى وإنما هي دليل على الخفة.

ويقول الجواري واصفا (إحياء النحو) (١٨ : ص ٢٣) : " كان بحق قفزة في المنظور النحوي الصادق في دعوته إلى التجديد ، وطموحه إلى التيسير ".

وقد " اعتبر أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظرية النحاة التقليدية " (٦ : ص المقدمة). فلقد اتهم صاحبه النحويين القدامى بأنهم جنوا على النحو ، وضيقوا حدوده ، وسلكوا به طريقا منحرفا الى غاية قاصرة ، وضيعوا كثيرا من احكام الكلام واسرار تأليف العبارة.

وكان لهذه المحاولة السبق في العصر الحديث ، بهذا الاسلوب العلمي الجديد ، فرغم ان دعوته لاعادة النظر في درس العربية ، الا انه انتهى به الامرالى الابقاء على الجانب التعليمي وحده ، حيث يقول طه حسين في تقديمه للكتاب : " تقرؤه فلا تجد في الكتاب انك تنتزع من النحو القديم انتزاعا ، وانما تحس انك تمعن فيه امعانا ، وكأنك تقرأكتب الائمة المتقدمين من اعلام البصرة والكوفة وبغداد ". فهي محاولة جديدة من وجهة نظر صاحبها ، وهي بحق كذلك ، وبخاصة اذا ما علمنا ان صاحبها لم يكن قد اطلع على كتاب ابن مضاء ، حيث لم يكن مطبوعا بعد.

محاولة شوقي ضيف :

المحاولة المصرية الثانية : كانت على يد شوقي ضيف في كتابه (تجديد النحو) الذي ألفه متأثرا بكتاب ابن مضاء القرطبي (الرد على النحاة) وبآرائه في التيسير، واتخذها مرشدا له في تجديد النحو التعليمي وتيسيره. فكانت الباعث الحقيقي له في محاولته. وبعد الانتقادات التي وجهت له بعد صدور كتابه هذا ، أصدر كتابه " تيسير النحو التعليمي " ليدعم وجهة نظره فيه ، فيقول : " ورأيت دعما له ، واداء لحقه ، ان أؤلف هذا الكتاب الجديد ، لازود بحشد من الدراسات والادلة المستقصية المستأنية ، حتى يستبين نهجي غاية الاستبانة فيما رسمته فيه للنحو التعليمي من تجديد وتيسير ". (٢٠ : ص ٦) والناظر في الكتابين يرى انه بسبب تأثره الكبير بآراء ابن مضاء وأفكاره ، كان منهجه في تيسير النحو ، منهجا نحويا ، أقرب منه منهجا تعليميا.

إن محاولته التيسيرية تركزت على ستة أسس هي : - (١٩ : ينظر ص ٦ وما بعدها)

١ – إعادة تنسيق أبواب النحو ، بحيث يستغنى عن طائفة منها ، برد أمثلتها إلى الأبواب الباقية ، حتى لايتشتت فكر دارس النحو في كثرة من الأبواب توهن قواه العقلية.

٢ – إلغاء الإعراب التقديري في المفردات مقصورة ومنقوصة ومضافة إلى ياء المتكلم ومبنية ، ورأى أن يقال فيها جميعا محل الكلمة الرفع أو النصب أو الجر. وإلغاء الإعراب المحلي في الجمل ايضا.

٣ – أن لاتعرب كلمة لايفيد إعرابها أي فائدة في صحة نطقها ، مثل أن المخففة من الثقيلة ، وإعراب لاسيما ، وبعض أدوات الاستثناء ، وكم الاستفهامية والخبرية ، وأدوات الشرط الاسمية.

٤ – وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب المفعول المطلق والمفعول معه والحال تجمع صور التعبير في كل منها جمعا وافيا.

٥ – حذف زوائد كثيرة في أبواب النحو تعرض فيه دون حاجة.

٦ – زيادة إضافات لأبواب ضرورية بجانب إضافات فرعية تتخلل الكتاب. وقد وزع الكتاب على مدخل وستة أقسام ، قسمين للصرف وأربعة أقسام للنحو وقد بين في المدخل أسس تجديد النحو في الكتاب.

وكان يرجو ان يكون كتابه هذا مرجعا يرجع اليه واضعو المناهج ، ومؤلفو الكتب التعليمية لجميع المراحل الدراسية. والجدير بالذكر ان لشوقي اربعة كتب ، تمثل منهجا خاصا به في تجديد النحو العربي وتيسيره ، وهي على التوالي :

١- تحقيق كتاب الرد على النحاة ، لابن مضاء القرطبي. سنة ١٩٤٧.
٢- تجديد النحو. سنة ١٩٨٢.
٣- تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده. ١٩٨٦.
٤- تيسيرات لغوية. سنة ١٩٩٠.

محاولة احمد عبد الستار الجواري :

يعد الجواري ثالث ثلاثة من المعاصرين الذي نظروا إلى التيسير من حيث انه خطوة غير كافية ما لم يمهد له بتجديد النحو وإصلاحه فهو يقول : " ولابد لي هنا أن أشير إلى أمر ذي خطر في فهم معنى التيسير ، وفي سلوك السبيل القويم إليه ذلك أن التيسير عند الكثرة الغالبة ممن يعتنون بأمر اللغة ، ويتصدون

للبحث فيها يعني التسهيل والاختصار، وتذليل الصعب من مباحث النحو، وتمهيد الوعر من مسالكه. وهذا في الحق جزء من التيسير، وجانب من جوانبه، وقد اتجهت إلى هذا الجانب جهود قليلة، فعملت في منهج الدراسة النحوية حذفا وتبديلا وتحويرا تريد من وراء ذلك كله أن تسهل على الدارسين، وتأخذ بأيديهم في سلوك النحو قدر المستطاع، واحسب أن هذا لايكفي لتحقيق الغاية، وبلوغ الهدف المقصود " (٧: ص ٥١).

و الجواري يرى أن إصلاح الدرس النحوي وإقامته على أسس جديدة هو الخطوة الأولى على طريق التيسير. (٢٦ : ص ٨٥). فهو يرى ضرورة الأخذ برأي النحاة القدامى في فهم معنى النحو، وجعله سبيلا لتيسير النحو. حيث ينبغي ان يكون عمل الدارسين والباحثين، العودة به الى سابق طبيعته واستنباط أصوله الاولى، التي تعيد اليه مذاقه السائغ، وتصله بالافهام والاذهان والاذواق. (٧ : ص ٥٠، ص ٥).

أسس التجديد والتيسير عند الجواري:

أقام الجواري منهجه على جملة أسس هي : (٢٦ : ص ٨٦).

١ – تحرير النحو من مفهومه الضيق.

٢ – إلغاء العامل.

٣ – الاعتماد على القرآن في رسم صورة النحو.

٤ – التفسير الفني للجملة.

يقول العزاوي: لم يخرج الجواري في منهجه الجديد عن الذي قرره المحدثون بشأن صورة الجملة العربية، فهو لم يرد أن يفسرها في ضوء المنطق أو في ضوء التصور العقلي المجرد الذي وضعه النحاة وإنما أراد أن يفسرها في ضوء

اعتبار آخر، هو الجانب النفسي للمتكلم، أو الجانب النفسي للمتلقي.(٢٦ : ص ٩)

والجواري يرى أن يعنى النحو بدراسة طبيعة الجملة من حيث مدلولها الذاتي أو الموضوعي ومن حيث علاقتها بالمفاهيم التي توجد في الخارج . (٧ : ص ١٢٤).

وقد وصف " الصغير " محاولة الجواري التيسيرية بمصطلح التجديد في النحو. مبررا هذه التسمية بما يأتي : (١٨ : ص ١٠)

- ان كتب الجواري في النحو قد جرت على هذا المجرى، واتسعت لهذا المنحى، فكانت : نحو التيسير، ونحو القرآن، والفعل، ونحو المعاني، وهذا نحو التجديد يسير في ذات المعنى.
- ان في هذا الانتظام الدقيق في مؤلفات الجواري وبحوثه، اطارا تركيبيا، وأصالة علمية تتبلور نظرتها الفاحصة لاساليب اللغة العربية، بما يجدر ان يعد تجديدا لما درس عن فهم للنحو العربي، وتجديدا لمشاكله في العرض والاسلوب والمدارسة.
- ان في آراء الجواري في النحو العربي جدة وطرافة : جدة في العرض، وطرافة في النتائج.

ولا أرى جديدا او ضرورة لهذه التسمية أو محل خلاف عليها، طالما ان الامر يصب في تيسير النحو. فقد استخدم الباحثون والمؤلفون، القدامى منهم والمحدثون، مصطلحات مختلفة منها : التيسير، والتجديد، والاصلاح، والاحياء، والتسهيل، والتبسيط، والتهذيب، والتشذيب... ويقصدون بها تيسير النحو العربي. وكثيرا ما استخدم الجواري نفسه هذه التسمية في مؤلفاته.

محاولة مهدي المخزومي:

يرى المخزومي – تلميذ إبراهيم مصطفى – ان ما جاء به الخليل والفراء ليس من النحو الخالص، وانما كان درسا شاملا لفروع الدراسة النحوية اللغوية، وهكذا يرى كتاب سيبويه ايضا. فهو لا يقبل المفهوم الشامل للنحو، كما كان عند الخليل والفراء. وفي هذا المعنى يقول: لقد اصبحت الحاجة ماسة الى نحو جديد يخلو مما علق به في تاريخه الطويل من شوائب ليست منه وتعليلات فلسفية اصطنعها القوم. فنراه يحدد اهداف النحو في الهدف التعليمي والجانب التطبيقي. والتيسير عنده ليس بحذف بعض ابواب النحو، بل بتيسير سبل تناوله وتقديمه للناشئة. (٣٢: ص ١٤)

والمخزومي يرى ان " النحو عارضة لغوية، تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور، فالنحو متطور ابدا، والنحوي الحق هو الذي يجري وراء اللغة، يتتبع مسيرتها، ويفقه أساليبها... فاذا قال النحوي مثلا: ان الفاعل مرفوع... فليس له ان يفلسف ذلك او يبنيه على حكم من احكام العقل ... والنحو عنده دراسة وصفية تطبيقية لا تتعدى ذلك بحال ". (٣٢: ص ١٩)

ونرى ذلك واضحا في محاولته التيسيرية المتمثلة في كتابيه (في النحو العربي – نقد وتوجيه) سنة ١٩٦٤، و (في النحو العربي – قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) سنة ١٩٦٦.

وقد أشار المخزومي الى بعض جوانب هذا المنهج، منها:

١- ان النحو ليس من وظيفته ان يفرض على المتكلمين قاعدة او يخطئ لهم اسلوبا.

٢- ان النحو دراسة وصفية تطبيقية.

٣- ان النحو عارضة لغوية تخضع كما تخضع له اللغة من الحياة والتطور.

٤- ليس للنحو ان يفلسف او يبنى على حكم من احكام العقل.

فبهذا نرى ان المخزومي دعا الى تطبيق منهج علم اللغة الحديث، باستبداله نموذج جديد بالنموذج القديم، يقوم على استقراء جديد للغة العربية المعاصرة. وهو بهذه الدعوة تنبه ونبه الى امر مهم، حيث دعا الى نهج جديد في تعليم النحو، يقوم على اساس علمي حديث في تعليم اللغات، وهذا النهج يتناغم وتعليم اللغات عند الغربيين في العصر الحديث. الا اننا نرى ان رياض السواد يذكر آراء لحلمي خليل، ونعمة رحيم العزاوي في مقال له تحت عنوان: " مهدي المخزومي في انظار الدارسين " على موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب – منتديات واتا الحضارية. يقول فيه عند حديثه عن المنهج الوصفي والدراسة الشمولية: " يرى حلمي خليل، وتابعه في ذلك نعمة رحيم العزاوي ان سمات المنهج الوصفي غير واضحة عند المخزومي، على الرغم من انه يذهب الى كون النحو دراسة وصفية تطبيقية، وان ليس من وظيفة النحوي – الذي يريد ان يعالج نحو لغة من اللغات – ان يفرض على المتكلمين قاعدة او يخطئ لهم اسلوبا. فاننا نلمح سيطرة المعيارية والهدف التعليمي على فكر المؤلف ".

والناظر في كتابي المخزومي، يرى بوضوح رأيه من محاولات التيسير التي ظهرت في الكتب المدرسية حديثا، حيث يرى انها لم تقدم شيئا جديدا، والتيسير المنشود – في رأيه – لا يقوم على الاختصار، ولا على حذف الشروح النحوية، والتعليقات والحواشي التي تملأ بطون كتب النحو، ولكنه يبنى على العرض الجديد لموضوعات النحو من خلال اصلاح

شامل لمنهج الدرس النحوي وموضوعاته اصولا وفروعا. واهم هذه الاصلاحات واولاها بالعناية، تخليص النحو مما علق به من شوائب وفلسفة جملتها فكرة العامل، تلك الفكرة التي حرفت النحو عن مساره، فتحول شيئا فشيئا الى درس ملفق غريب، ليس فيه من سمات الدرس اللغوي الا مظهره وشكله، مما اصبح به النحو درسا في الجدل يعرض النحاة فيه قدراتهم على التحليل العقلي. (٣٢: ص ١٤ - ١٥)

وارى - كما يرى غيري - ان المخزومي بالغ في نقده للاتجاه القديم في الدرس النحوي. فهو يرى ان كل شيء اسس على اصول غير سليمة، فكل شيء تحدث عنه القدماء لا صلة له بالدرس اللغوي او النحوي. فالاصول التي تأسس عليها النحو العربي – في نظره – ليست من النحو في شيء، بل هي دخيلة غريبة عن مجال اللغة والنحو.

والذي يلاحظ آراءه يجدها مطابقة لما جاء في كتاب " الرد على النحاة " لابن مضاء، وكتاب " احياء النحو " لاستاذه ابراهيم مصطفى، مع شيء من الاحتجاج والتوسع، حيث نلحظ ذلك في جميع ابواب كتابيه تقريبا.

الرأي

بعد استعراضي لأهم محاولات التيسير عند القدامى والمحدثين، لابد لي من الإشارة إلى أني وجدت كتبا كثيرة حول التيسير والتجديد و الاصلاح ، وصعوبات النحو، وصعوبات تدريسه. إلا أنها دون المستوى المطلوب. وما زالت حركة التيسير والتجديد في النحو العربي تسير ببطء شديد، وما زالت جامعاتنا العربية ومعاهدنا العلمية تقوم بتدريس النحو العربي من خلال ادبياته

القديمة دون تغيير. بل ان البعض من اساتذتنا الكرام يرى في التيسير والتجديد والاصلاح جريمة لا تغتفر، وبخاصة من اعتاد على تدريس شرح ابن عقيل طوال حياته التدريسية، واصبح اسير هذا الشرح، اذ ليس بمقدوره ان يتصور تسهيلا وتيسيرا له، مع انه شرح يعاني من صعوبته، وغموضه، وشواهده الشاذة، وغريب لهجاته وتعددها، الكثير من الطلبة حتى يومنا هذا.

والذي أراه – إذا ما أردنا تيسير النحو، وتيسير تدريسه – علينا أن نعمد إلى الكشف عن الصعوبات، وشرح العبارات الغامضة، والوقوف على الشواهد العربية الشاذة، والعلل النحوية المعقدة، والإبدال بها شواهد قرآنية كريمة، وشعرية واضحة، وأمثلة من واقع حياتنا اليومية، وحذف مالا فائدة فيه، والابتعاد عن الخلافات النحوية، والآراء الفلسفية، والمناقشات العقلية. والإكثار من التطبيقات النحوية، والاستعانة بالآيات القرآنية الكريمة، والأمثلة النحوية الوظيفية لتثبيت المادة العلمية وترسيخها في أذهان الطلبة، وجعلها واضحة المعالم، سهلة الفهم. إذ أن التطبيقات هي التي تثبت القاعدة النحوية في أذهان الطلبة. وأن لا يدرس النحو كهدف في حد ذاته، وانما كوسيلة يأتي عرضا، لحفظ اللسان والقلم، وصيانتهما من اللحن والخطأ. وان يدرس النحو من خلال ما يقع فيه التلاميذ من مشكلات واخطاء اثناء قراءتهم وكتابتهم وتعبيرهم، بما يحقق للغة وظيفتها – وبخاصة في المراحل الاولى من التعليم - وفي هذا المعنى يقترح مجاور اتباع ما يأتي: (٣١ ص ٦٧٨، ٦٧٩)

١- أن تكون هناك مشكلات نبعت من أخطاء التلاميذ "أخطاء شائعة"

٢- أن تعرض نماذج من أخطاء التلاميذ في تراكيب متكاملة، وأن تعرض معها نماذج صحيحة لهذه الاخطاء من جيد التعبير في اساليب مختارة، وعبارات منتقاة، في مستوى التلاميذ، ويعرض هذا كله للمناقشة وتبيان

الاخطاء ، وبيان العلاج ، والمقارنة بين الخطأ الذي وقعوا فيه ، والصواب الذي يعرض عليهم في النماذج الصحيحة ، عملية اساسية في هذا المجال. ولا جدال في ان عرض النماذج الصحيحة ، وتكرار امثلتها ، والتركيز عليها ، أكثر تأثيرا وفاعلية في تعليم اللغة.

٣- عرض تسجيل لنماذج من الجمل الصحيحة بصوت جيد الالقاء حسن الاداء.

٤- اذا كان هناك قانون لغوي سهل ، او قاعدة ميسرة ، يمكن ان يصل اليها التلاميذ ويستنتجونها ، فلا بأس منها ، لكن دون الدخول في تعقيدات القوانين وتجريداتها.

٥- يطلب المعلم الاتيان بنماذج للصحيح الذي شرح ، وهو ما نسميه بالتقويم. وقد يطلب من التلاميذ جمع نماذج من الاساليب الصحيحة المماثلة لما ناقشوه ، وتدوينها في كراساتهم الخاصة في اوقات فراغهم

- اذن فالتيسير لا يعني استبدال مصطلح نحوي بمصطلح آخر ، او تعريف بتعريف آخر ، او شاهد نحوي بشاهد آخر ، او باعداد مقررات مختصرة عوضا عن المقررات الطويلة ، او بحذف اجزاء من النحو والابقاء على اجزاء اخرى... انما التيسير هو :

١- انتقاء علمي للمادة النحوية ، يتضمن تأملا وتفكيرا في طبيعة هذه المادة المدرسة ، وكذلك في طبيعة وغايات تدريسها ، ثم اعدادا لفرضياتها الخصوصية ، انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار في اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع... الخ. (١٧)

٢- عرض جديد لموضوعات النحو ، باستخدام طرائق تدريسية حديثة ، قائمة على اسس علمية ونفسية وتربوية حديثة ، فيها ابداع وابتكار ، وتجديد في

عرض المادة النحوية ، يرافقه اعداد جيد لمعلمين اكفاء يحسنون تدريس هذه المادة ، كما هو الحال في تعليم اللغات الاجنبية. وعلى هذا ينبغي ان تنصب جهود التيسير.

طرائق تدريس النحو :

ليست هناك طريقة بعينها هي الافضل في تدريس النحو أو غيره من فنون اللغة ، أو أي من المواد الدراسية الاخرى. حيث ان الموقف التعليمي ، وطبيعة المتعلمين ، هما اللذان يحددان نوع الطريقة المستخدمة في التدريس ، فالمعلم هنا هو الطريقة ، حيث يستطيع ان يحدد الطريقة المناسبة ، وان يعدل فيها ، او يبدلها بأخرى ، او يولف بين طريقتين فأكثر بحسب الموقف التعليمي.

" فقد كشفت نتائج الابحاث العلمية في ميدان التربية وعلم النفس في نصف القرن الاخير عن عقم البحث عن طريقة واحدة لتدريس جميع المواد ، او طريقة واحدة لتدريس مادة بعينها ، وحولت الانظار الى الخبرة التعليمية ككل متكامل ، وليست الطريقة الا جزء منه ، فالعملية التعليمية هي عملية احداث تغيرات في سلوك التلاميذ والموقف الذي يوجدون فيه ، ويتكون الموقف من عناصر لا حصر لها ، اهمها المعلم ، والمادة ، والطريقة ، والادوات التعليمية ، والعلاقات الاجتماعية في الفصل. ويتوقف التفاعل بين التلاميذ والموقف على مدى ملاءمة الموقف بكل عناصره لأغراض التلاميذ وحاجاتهم واستعداداتهم وقدرتهم " (٣٨ : ص ١٤٩)

وهنا لابد ان أشير الى اكثر طرائق التدريس شيوعا واستخداما في تدريس النحو العربي وهي :

١ - الطريقة القياسية :

تقوم هذه الطريقة على البدء بعرض القاعدة وتقريرها من قبل المعلم وحفظها ، ثم اتباعها بذكر الامثلة والشواهد والادلة المؤكدة لها والموضحة لمعناها ، ومع كثرة التدريب عليها يمكن تعميمها. والاساس الذي تقوم عليه هذه الطريقة هو نظرية انتقال اثر التدريب ، ففيها ينتقل الذهن من الكل الى الجزء ، كما انها ترمي الى تحفيظ القواعد واستظهارها باعتبارها غاية في ذاتها وليست وسيلة. وقد ادى استخدام هذه الطريقة الى ضعف التكوين السليم للسلوك اللغوي لدى التلاميذ.

والطريقة القياسية هي احدى طرائق التفكير التي يستخدمها العقل في الوصول من المعلوم الى المجهول. وتفيد عند تعذر استخلاص القاعدة من قبل التلاميذ ، خاصة في الموضوعات الصعبة ، الا ان الموقف التدريسي على وفق هذه الطريقة يبدو متكلفا ومصطنعا لانه يرمي الى تمكين التلاميذ من السيطرة على القاعدة المحددة اولا ، كما ان الامثلة الموضحة لتلك القاعدة لا تخلو من ذلك التكلف. وعلى الرغم من سهولة وسرعة التعليم بهذه الطريقة ، الا انها تعود التلاميذ على الحفظ والاستظهار والمحاكاة العمياء وعدم الاعتماد على النفس والاستقلال في البحث ، وتضعف فيهم القدرة على الخلق والابتكار. ومن مساوئها ايضا أنها تبدأ بالصعب وتنتهي بالسهل مما ادى الى نفور التلاميذ من دراسة النحو.

٢- الطريقة الاستنباطية " الاستقرائية " :

تقوم هذه الطريقة على البدء بالامثلة التي تشرح وتناقش ، ثم تستنبط منها القاعدة " فهي بهذا تكون عكس الطريقة القياسية " والاستقراء اسلوب العقل في التفكير والوصول الى المعرفة ، وهو طريقة الفطرة في الكشف عن المجهول ، واستبانة الغامض ، وعلى هذا فالاستقراء يكون في البدء بفحص الجزئيات - استعراض الامثلة والشواهد ودراستها - ثم الوصول الى حكم عام شامل ، وهو ما نسميه القاعدة. وعليها بنى المربي الالماني " فريدريك هربارت " خطواته الخمس المشهورة التي لا يزال الكثير من المربين يعتمدون عليها وهي : المقدمة أو التمهيد ، والعرض " عرض الامثلة " والموازنة أو الربط ، واستنباط القاعدة ، والتطبيق على القاعدة. ويمكن للمعلم تطبيق هذه الطريقة في كل الدروس لا في درس القواعد فقط.

محاسن هذه الطريقة :

- تخلق الثقة في نفوس التلاميذ فيعتمدون على جهودهم الشخصية.
- تعودهم الصبر والأناة في التفكير حتى يصلوا الى النتائج والحقائق.

عيوبها :

- انها بطيئة التعليم لانها تستغرق وقتا في التنفيذ.
- تركز على العقل فقط دون اشراك الجوانب الاخرى.
- تعطل قدرات المعلمين في الابداع والتجديد والابتكار.

- قلة مشاركة التلاميذ لان المعلم على وفق هذه الطريقة هو مركز العملية التعليمية ، فهو الذي يقدم للدرس ويوازن ويقارن بين اجزائه ويستنتج القاعدة.

٣- طريقة حل المشكلات :

تقوم هذه الطريقة على اساس معالجة المشكلات التي يقع فيها التلاميذ اثناء كلامهم وكتاباتهم ، فتعمل على جمع الامثلة الخاصة بالمشكلة النحوية من كتابات التلاميذ في كراسات التعبير " الاخطاء النحوية الشائعة في كراسات التعبير " او من كتابة القراءة او النصوص او الاملاء ثم مناقشتها واستنباط القواعد النحوية منها والتطبيق عليها.

وتعد هذه الطريقة كما يقول اصحابها – اذا أحسن استخدامها – أفضل الطرائق في تدريس النحو ، لانها تقوم على اساس الحاجات الحقيقية للتلاميذ وما يقعون فيه من أخطاء في كلامهم وكتاباتهم وقراءاتهم ، كما انها لا تخضع للتخمين او الترتيب المنطقي لقواعد اللغة الذي وضعه النحاة وانما تهتم بتشخيص نواحي الضعف لدى التلاميذ وعلاجها.

٤- طريقة ٤ ماذا ؟ :

يتمثل الهدف من هذه الطريقة في تنظيم عرض الدرس – في أي فرع من فروع اللغة العربية – بالطريقة التي تسمح للمعلم بالآتي :

١- استثارة التعلم القبلي لدى التلاميذ من خلال :

- تحفيز التلاميذ للاشتراك في الدرس الجديد، من خلال اشعارهم بألفة ما سوف يأتي في علاقته بما هو موجود.
- مساعدة المعلم على تحديد نقطة البدء الفعلية، حيث يبدأ مما توقف عنده التلاميذ، مما يوفر له جهدا ووقتا، ويجنب اغلب التلاميذ الملل من التكرار.
- المساعدة في تحقيق تكامل المعرفة والتأكيد على البناء المتماسك لها من خلال ربط الجديد بالقديم في علاقات ذات معنى.

٢- ربط التعلم بحاجات التلاميذ. وهنا يسأل المعلم التلاميذ عما يريدون معرفته عن موضوع الدرس. وفي حال عدم تلقي استجابات من التلاميذ فان المعلم يخبر التلاميذ بالاهداف السلوكية التي رصدها للدرس.

٣- التأكيد على النقاط الجوهرية في الدرس. وهنا يحاول المعلم تلبية حاجات التلاميذ من خلال الاجابة عن استفساراتهم التي طرحوها في الخطوة السابقة، كما انه يمكن اجراء التغذية المرتدة الفورية لتحقيق رغبات التلاميذ من خلال شرح الدرس.

٤- التأكد من ربط التلاميذ بالدرس بعد الانتهاء من شرحه. وهنا يكلف المعلم التلاميذ بتكليفات تربطهم بموضوع الدرس، كحل اسئلة او كتابة ملخص او كتابة موضوع تعبير بالرجوع الى مصادر اضافية حول موضوع الدرس. وكل هذا بهدف اثراء معرفة التلاميذ بموضوع الدرس.

تنظيم السبورة على وفق الطريقة :

ماذا "١" ؟	ماذا "٢" ؟	ماذا "٣" ؟	ماذا "٤" ؟
ماذا يعرف التلميذ عن الموضوع قبل الشرح؟	ماذا يريد التلميذ ان يعرف عن الموضوع؟	ماذا تعلم التلميذ عن الموضوع من خلال الشرح؟	ماذا يمكن للتلميذ ان يفعل ليتعلم أكثر عن الموضوع؟

نموذج لدرس على وفق طريقة ٤ ماذا ؟ " الصف : اول متوسط " :

الموضوع : كان وأخواتها.

طريقة الشرح :

ماذا (١) ؟ :

س ١ – اذكر انواع الجمل في اللغة العربية.

س ٢ – ما أركان الجملة الاسمية ؟

س ٣ – اعرب الجملة الآتية : محمد واقف.

ماذا (٢) ؟ :

ماذا تريد ان تعرف عن كان واخواتها ؟

١- معرفة التغير الذي يطرأ على الجملة الاسمية بعد دخول كان واخواتها عليها.

٢- معرفة أخوات كان ومعانيها.

٣- تحديد نوع خبر كان واخواتها في الامثلة.

٤- معرفة علامات نصب خبر كان.

ماذا (٣) ؟ :

اسم كان واخواتها	خبر كان واخواتها	نوع الخبر
١- محمد	واقفا	مفرد
٢- المدرسة	صفوفها نظيفة	جملة اسمية
٣- الماء	يلطف الجو	جملة فعلية
٤- الكتاب	في المكتبة	جار ومجرور
٥- محمد	داخل البيت	ظرف مكان

القاعدة :

تدخل كان واخواتها على الجملة الاسمية. فترفع المبتدأ ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ويسمى خبرها.

معاني كان واخواتها :

كان : تنقل الجملة الاسمية الى الماضي.

ظل : تفيد الاستمرار.

صار : تفيد التحول.

أصبح : تفيد الدخول في الصباح.

أضحى : تفيد الدخول في الضحى.

ليس : تفيد النفي.

يأتي خبر كان واخواتها على الصور التي يأتي عليها خبر المبتدأ :

١- مفردا.

٢- جملة اسمية.

٣- جملة فعلية.

٤- شبه جملة (جار ومجرور).

٥- شبه جملة (ظرف).

علامات نصب خبر كان :

- الفتحة : للمفرد ، وجمع التكسير.
- الياء : للمثنى ، وجمع المذكر السالم.
- الكسرة : لجمع المؤنث السالم.

التقويم :

١- اذكر عمل كان واخواتها في الجملة الاسمية.

٢- عدد اخوات كان. وما معانيها ؟

٣- اكتب جملا من انشائك يكون فيها خبر كان :

- مفردا.
- جملة اسمية.
- جملة فعلية.
- شبه جملة (جار ومجرور).
- شبه جملة (ظرف).

ماذا (٤) ؟ :

اكتب جملا من انشائك عن كان واخواتها يكون الخبر فيها :

- مفردا.
- جملة اسمية.
- جملة فعلية.
- شبه جملة (جار ومجرور).

- شبه جملة (ظرف).

٥- الطريقة المعدلة :

ان من اهم مشكلات تعليم النحو انه ما زال يعطى بمعزل عن فروع اللغة الاخرى ، فالنحو في درس النحو فقط ، ولا نكاد نلمس له اثرا وظيفيا في دروس القراءة او المحفوظات او التعبير او الاملاء ، مما يسبب مشكلة عند المتعلم ، فالتكاملية اللغوية خير طريق لممارسة النحو ، وذلك بالتركيز على النحو التركيبي لا النحو الافرادي. ويمكن ان يمارس بالتدريب على القراءة والتعبير وتذوق النصوص. واعطاء اهمية لتنمية المهارات الاساسية ، وارى ضرورة ان تكون مواد اللغة العربية على الاقل في المرحلة الابتدائية في كتاب واحد ، والا يكون هناك فصل بين فروعها ، مع ضرورة مراعاة ان عملية التعليم ليست واحدة في جميع المراحل الدراسية ، ولا في جميع الازمنة ، فكل مرحلة تعليمية لها خصوصيتها ، وكل مستوى من مستويات النظام اللغوي له خصوصيته ، فلا بد ان نعرف بداية المرحلة وخصوصيتها ، ثم نصمم المنهج على وفقها.

والطريقة المعدلة تسمى طريقة النصوص التكاملية ، وهي لا تختلف في خطواتها عن الطريقة الاستقرائية السابقة الذكر. لكن تدريس النحو هنا يكون من خلال عرض نص متكامل المعاني " اي من خلال الاساليب المتصلة لا الامثلة المتكلفة المصنوعة " ويمكن ان يتم هذا من خلال استعراض نص من نصوص القراءة او الادب ، فيه فكرة اوافكارا يود التلاميذ معرفتها ثم يناقشهم المعلم فيها ، وبعد قراءة التلاميذ لهذا النص

وفهم معناه ، يشار الى الجمل المكونة للنص وما بها من خصائص ، ثم يعقب ذلك استنباط القاعدة ، ثم التطبيق عليها.

وفي هذا يقول فتحي يونس وآخرون : " وتعليم القواعد على وفق هذه الطريقة ، انما يجاري تعليم اللغة نفسها ، اذ انه من الثابت الذي لا جدال فيه أن تعليم اللغة انما يجئ عن طريق معالجة اللغة نفسها ، ومزاولة عباراتها ، فليكن تعليم القواعد اذن على هذا المنهج الذي يرتكز فيه على اللغة الصحيحة ، ومعالجتها وعرضها على الاسماع والانظار ، وتمرين الألسنة والاقلام على استخدامها " (٣٨ : ص ١٤٩)

والطريقة المعدلة صورة من صور التكامل في تدريس اللغة العربية ، وهو من الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغة العربية – وان لم يكن حديثا في الاستعمال – فهو يدعو الى التكامل في تدريس مهارات اللغة العربية وفنونها المختلفة.

ويعني هذا الاتجاه في تدريس اللغة العربية أن تدرس اللغة على اساس انها وحدة متكاملة من حيث فروعها وفنونها. والتكامل بين فروع اللغة يعني الموازنة بين مهاراتها في التدريس ، وان تدرس اللغة كلا متكاملا. اي " ان ننظر الى اللغة على انها وحدة مترابطة متماسكة ، وليست فروعا مفرقة مختلفة ، ولتطبيق هذه النظرية في تعليم اللغة العربية يتخذ الموضوع او النص محورا تدور حوله جميع الدراسات اللغوية ، فيكون هو موضوع القراءة والتعبير والتذوق والحفظ والاملاء والتدريب اللغوي... وهكذا " (١٥ : ص ٤٤)

اتجاهات حديثة في تعليم القواعد النحوية :

هناك مجموعة من الاتجاهات الحديثة في تعليم قواعد اللغة من اهمها ما يأتي :

أشار علي مدكور الى اتجاه ابن خلدون وهو اتجاه قديم لكنه متجدد حيث يرمي الى أن تعليم اللغة انما يتم عن طريق تربية الملكة اللسانية ، مؤكدا ان تربية الملكة اللسانية لا يحتاج الى النحو ، ويرى ان اكتساب الملكة التي تصون اللسان والقلم عن الخطأ ، انما يتم بالتعليم والدربة والمران ، من خلال دراسة وحفظ النصوص الاصلية الراقية ، والشواهد الحية. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع نظما ونثرا ، وهكذا ينبغي ان تربى الملكة. (٣٤ : ص٣٣٩).

والجديربالذكر ان مصممي مناهج تدريس اللغات في امريكا ، ومعظم بلاد اوربا ، قدهجروا طريقة هربارت منذ زمن بعيد ، واستفادوا في وضع مناهج اللغات عندهم ، وفي تدريسها بفكرة ابن خلدون ، التي تركز في تكوين الملكة اللسانية على دراسة النصوص اللغوية الجميلة ، دراسة تحليلية تذوقية. لكننا ما زلنا مصرين على التشيع لطريقة هربارت اكثر من اهله وابناء جلدته ! والنتيجة هي الضعف اللغوي لدى الناشئة في كل مكان. (٣٤ : ص ٣٥٥).

وبالفعل فان اتجاه ابن خلدون قد ترك اثره البالغ في الكثير من الاتجاهات العالمية في تدريس النحو.

ويمكن تلخيص أهم هذه الاتجاهات في تدريس النحو بالآتي : (٣٥ : ص٢٠٣- ٢٠٧)

- تجاوز نحو الجملة الى نحو النص اشارة الى علم اللغة النصي الذي يعد تطورا حديثا في دراسة اللغة.
- اعتماد المنهج الاتصالي في تدريس النحو ، وهو المنهج الذي يعكس الحاجات الاتصالية اليومية.
- استخدام نصوص مشوقة ومواد وظيفية مثل الخطابات المكتبية والشخصية.
- الاعتماد على موضوعات قرائية طبيعية ، تدريس بناء الجمل واستخدام الكلمات الاكثر شيوعا.
- بناء منهج النحو على أخطاء المتعلمين في التعبير.
- دراسة السمات المشتركة بين لغتين : اللغة الام ، واللغة الاجنبية ، واستغلالها في تدريس النحو.

المصادر

١- ابوالمكارم، علي، النحو التعليمي حتى منتصف القرن التاسع الهجري، مجلة معهد اللغة العربية، العدد ٢، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٦

٢- ابن جني، ابو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج ١، دار الكتاب العربي بيروت (د. ت)

٣- ابن حزم، ابو محمد علي، مراتب العلوم، تحقيق احسان عباس، القاهرة، ١٩٥٤

٤- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٠

٥- الاحمر، خلف، مقدمة في النحو، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦١

٦- ايوب، عبد الرحمن محمد، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الانجلو المصريه، ١٩٥٧

٧- الجواري، احمد عبد الستار، نحو التيسير، ط ٢، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٨٤

٨- الجواري، احمد عبد الستار، نحو الفعل، ط ١، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٤

٩- الجواري، احمد عبد الستار، نحو القران، ط ١، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٤

١٠ – الجواري، احمد عبد الستار، نحو المعاني، ط١، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧

١١ – الحديثي ، خديجة ، ابو حيان النحوي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٦

١٢- الحلي ، حازم سليمان ، تيسير النحو العربي الى عصر ابن مضاء القرطبي ، مجلة اللسان العربي ، العدد ٤١ ، ١٩٩٦

١٣ – درويش ، عبد الله ، تهذيب النحو ، ط٢ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٦

١٤ – السامرائي ، فاضل ، النحو والتيسير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، مجلة المجمع العلمي العراقي (الندوة المفتوحة) 1995

١٥- السفاسفة ، طرائق تدريس اللغة العربية ، ط٣، مركز يزيد للنشر ، عمان ، ٢٠٠٤.

١٦– سعيد ، عبد الوارث مبروك ، في اصلاح النحو العربي ، ط١ ، ١٩٨٥

١٧- صاري ، محمد ، تيسير النحو : موضة ام ضرورة ؟ ، بحث منشور في اعمال ندوة تيسير النحو منشورات المجلس الاعلى للغة العربية ، الجزائر ، ٢٠٠١.

١٨ – الصغير ، محمد حسين ، نحو التجديد في دراسات الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٩٠

١٩ – ضيف ، شوقي ، تجديد النحو ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٨٢

٢٠ – ضيف ، شوقي ، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٩٣

٢١ – ضيف ، شوقي ، المدارس النحوية ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨

٢٢- الطنطاوي ، محمد ، نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة ، دار المنار ، ١٩٩١

٢٣ – ظافر، محمد اسماعيل، ويوسف الحمادي، التدريس في اللغة العربية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٤

٢٤- عبد العليم ابراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط ١٣، دار المعارف بمصر، ١٩٨٤

٢٥- عبد العليم ابراهيم، النحو الوظيفي، ط ٤، دار المعارف بمصر، ١٩٧٨

٢٦ – العزاوي، نعمة رحيم، جهود الجواري في تجديد النحو وتيسيره، مجلة الضاد، ج ٢، كانون الثاني، ١٩٨٩

٢٧ – العزاوي، نعمة رحيم، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥

٢٨– العزاوي، نعمة رحيم، من قضايا تعليم اللغة العربية (رؤية جديدة) جامعة بغداد، كلية التربية، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٨٦

٢٩- الكرباسي، موسى ابراهيم، دراسات في اساليب تدريس اللغة العربية في مرحلة الدراسة الابتدائية، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١

٣٠- مبروك، عبد الوارث، في اصلاح النحو العربي – دراسة نقدية - ، ط١، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥

٣١- مجاور، محمد صلاح ، تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية – اسسه وتطبيقاته - ، ج ٢، ط ٤، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣

٣٢- المخزومي، مهدي، في النحو العربي - نقد وتوجيه – ط ٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.

٣٣- المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨

٣٤- مدكور، علي احمد، تدريس فنون اللغة العربية، دار الشواف، الرياض، ١٩٩١

٣٥- المرسي، محمد حسن، دراسة مقارنة لتدريس النحو العربي والنحو الانجليزي، قراءات وبحوث قي التربية (د. ن) ١٩٩٨

٣٦- مصطفى، ابراهيم، احياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩

٣٧- مطلوب، احمد، نحو التيسير، مجلة المعلم الجديد، ج ١، بغداد، ١٩٦٣

٣٨- يونس، فتحي، وآخرون، طرق تعليم اللغة العربية (٢) برنامج تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعي، المستوى الرابع، ١٩٨٧